المحاضرة الأولى : جغرافية الجزائر و طوبونيميتها

تتناول هذه المحاضرة موضوعيين أساسيين هما : جغرافية الجزائر من حيث الموقع الفلكي و الجغرافي ، التضاريس ، المناخ و الغطاء النباتي بالإضافة للحدود التاريخية للجزائر . أما الموضوع الثاني يتناول طوبونيميا الجزائر من حيث مفهومها و أهميتها . قد يرى الطالب أن دراسة جغرافية الجزائر ليس بالموضوع المهم ، لكن على العكس تماما من ذلك ، فالموقع الجغرافي لكل منطقة يبين لنا كيف أثرت الظروف الطبيعية على توزيع السكان ونشاطهم الاقتصادي و حتى على طبائع الناس و عمرانهم – أشار إلى ذلك عبد الرحمان ابن خلدون في مقدمته - . أما معرفة أسماء الأماكن (الطوبونيميا) و كيف تغيرت عبر الزمن يبين كيف أثرت الحضارات التي تعاقبت على الجزائر عبر العصور في تغير أسماء الأماكن و الأودية و الشخصيات ...إلخ.

أولا : جغرافية القطر الجزائري .

1 – الموقع الجغرافي و الفلكي .

تقع الجزائر في شمال قارة إفريقيا، وتعتبر أكبر دولة إفريقية من حيث المساحة التي تقدر بـ2381741 كم^2 وترتب بذلك في الرتبة (11) عالميا، وفي الرتبة (2) إفريقيا و عربيا بعد السودان .عاصمتها الجزائر العاصمة، ، تقع فلكيا : بين دائرتي عرض 19° و 37° شمال خط الاستواء و بين خطي طول 12 شرق خط غرينتش و9 غرب خط غرينتش، ، يحدها شمالا البحر الأبيض المتوسط بشريط ساحلي طوله 1200 كم . أما شرقا فتتقاسم حدودا مع تونس بطول 965 كم ، ومع ليبيا بطول 982 كم و من الجهة الغربية يبلغ طول حدود الجزائر مع المغرب 1559 كم ، و مع الصحراء الغربية 42 كم . من الجنوب تجاور الجزائر كل من النيجر بحدود طولها 956 كم ، و مالي ب : 1376 كم ، و موريطانيا ب : 463كم .

2 - تضاريس الجزائر:

يمكن التمييز في ملامح سطح الجزائر بين إقليمين متباينين : الإقليم الشمالي و الإقليم الجنوبي .

2 -1 الإقليم الشمالي.

مساحة هذا الإقليم 381741 كم^2 يتكون من سلسلتين جبليتين ممتدتين من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي على مساحة تقارب 1000كم^2 ، تفصل بينهما السهول و الأحواض الداخلية ، و الهضاب العليا ، و يتكون من :

2-1-1السلاسل الجبلية : تتكون من :

الأطلس التلي :

يمتد هذا الحزام الجبلي بمحاذاة الشريط الساحلي ، يتراوح عرضه من 70 كم إلى 150 كم ، يتكون من جبال التوائية . القسم الشرقي من هذه السلسلة الجبلية أكثر تكتلا و ارتفاعا من القسم الغربي يبدأ بجبال جرجرة التي تبرز فيها قمة لالة خديجة بارتفاع 2308م ، ويفصلها وادي الصومام عن جبال البابور التي تطل شمالا على سهل بحاية . إلى الجنوب من جرجرة تمتد مرتفعات البيبان و تتواصل السلسلة إلى غاية سوق اهراس شرقا مرورا بمرتفعات سطيف وقسنطينة وكلها يفوق ارتفاعها 1000 م .

الأطلس الصحراوي :

يعطي مظهر الكتل الجبلية المترابطة، على شكل سلسلة تمتد موازية للأطلس التلي، تبدأ من الشرق بكتلة النمامشا، وإلى الغرب منها جبال الأوراس التي تصل أعلى قمة فيها بجبل الشيليا إلى 2328 م . - تشكل جبال الحضنة حلقة وصل بين الأطلس التلي والأطلس الصحراوي، أما منخفض الحضنة فيفصل القسم الشرقي من الأطلس الصحراوي عن قسمه الغربي الذي يتكون من مرتفعات أولاد نايل والتي تبدأ بجبل الفرنان قرب بوسعادة وتتصل بجبال عمور التي يرتفع بها جبل كسل إلى 2008م قرب البيض، ثم تتواصل السلسلة الجبلية باتجاه جنوب - غرب بواسطة جبال القصور، وترتفع أعلى قمة فيها في جبل عيسى إلى 2236م قرب عين الصفراء

2-1-2السهول:

أ - السهول الساحلية:

تنقسم إلى سهول ساحلية ضيقة، وسهول داخلية أكثر اتساعا وارتفاعا منها.

- سهل عنابة : يمتد من سكيكدة غربا إلى القالة شرقا، ينحصر إلى البحر بواسطة جبال سوق أهراس والسلسلة النوميدية، تجري فيه عدة أودية مثل وادي السيبوس، ووادي الكبير، وتتوزع فيه عدة بحيرات

- سهل بجاية : سهل ضيق يقع عند مصب وادي الصومام ينحصر بين جبال جرجرة والبابور من جهة، والبحر الأبيض المتوسط من جهة أخرى
- سهل متيجة : هو سهل واسع ينحصر بين الأطلس البليدي والبحر الأبيض المتوسط، يبدأ من شرشال غربا إلى بودواو شرقا، على مسافة 100 كم، وبعرض أقل من 20 كم
- سهل وهران : ويمتد من الشريط السهلي الضيق بالغزوات إلى سهل ملاتة شرقا، ويتصل عبر سهل المقطع و سهل غليزان بحوض الشلف تتخلل سهل وهران عدة سبخات، تربته ملحية .

ب - السهول الداخلية

تأخذ طابع الأحواض يزيد ارتفاعها عن 500م، تنحصر بين جبال الأطلس التلي، مثل سهل تلمسان، وسهل سيدي بلعباس، وسهل معسكر. أما سهل سرسو فيأخذ شكل هضبة، ينحصر بين جبال الونشريس والهضاب العليا .

2-1-3 الهضاب العليا :

ويمكن تقسيمها إلى ما يلي

الهضاب العليا الشرقية :

تمتد إلى الشرق من جبال الحضنة بين الأطلس التلي شمالا والأطلس الصحراوي جنوبا، يصل متوسط ارتفاعها إلى 800 م .

الهضاب العليا الغربية :

هو إقليم واسع يمتد على مسافة 700 كم من جبال الحضنة شرقا إلى الحدود المغربية غربا، يزداد إرتفاعا من الشرق (650م) إلى الغرب (1000م)، و يزداد كذلك اتساعا، تتخلله بعض الشطوط مثل الشط الغربي والشط الشرقي، والزهرز الغربي والزهرز الشرقي، وهي ناتجة عن التصريف الداخلي لمياه الأمطار التي لا تصل إلى البحر ويؤدي ارتفاع درجة الحرارة إلى تبخرها وتترسب بذلك الأملاح.

2 -2 الإقليم الجنوبي (الصحراء)

إقليم واسع تبلغ مساحته 2 مليون كم^2 بتكون من هضبة واسعة منبسطة، أغلب تكويناته

صخور برگانية قديمة مثل الغرانيت والشيست
يمكن تقسيم هذا الإقليم إلى المناطق التالية:

المنخفض الشمالي الشرقي

تعطي هذه المنطقة مظهر الحوض الواسع يقع عند أقدام الأوراس والنمامشا، ارتفاعه لا يتجاوز 300م تشغله عدة شطوط أهمها شط ملغيغ الذي ينخفض عن مستوى سطح البحر بـ : - 35 م، وشط مروانة تصب في هذه الشطوط عدة أودية تجري في الأيام الممطرة، مثل وادي الميا والوادي الأبيض ووادي جدي. هذا المنخفض غني بالمياه الجوفية لذلك تنتشر فيه أغلب واحات الجزائر نصف مساحة الصحراء الشمالية الشرقية مغطاة بالعرق الشرقي الكبير.

الصحراء الشمالية الغربية:

هي هضبة صخرية يتجاوز ارتفاعها 300م، تمتد من هضاب الميزاب شرقا إلى حمادة الدراع غربا شمال تندوف، ويغطي العرق الغربي الكبير مساحة هامة منها، تميّز هذا الإقليم تشكيلات الحمادة، وهي مساحات واسعة تغطيها صخور جيرية رملية على شكل صفائح

الصحراء الجنوبية : وتنقسم إلى

أ – نطاق المرتفعات :

في الجنوب الشرقي للصحراء ترتفع التضاريس الهضبية للتاسيلي إلى أكثر من 500م، وتحيط بجبال الهقار التي هي منطقة قديمة التكوين حافظت على ارتفاعها بسبب صخورها الصلبة ذات المنشأ البركاني. ولذلك توجد بها أعلى . قمة في الجزائر، هي قمة تاهات بارتفاع 2918 م

ب - نطاق السهول :

يمتد سهل تنزروفت إلى الغرب من كتلة الهقار وهو سهل واسع يغطيه الرق وهي تكوينات من الحصى كما تشغل العروق جزءا من هذا السهل مثل عرق إيقدي وعرق الشاش، وهي كثبان رملية يتجاوز ارتفاعها 100م

3 – الأقاليم المناخية و الغطاء النباتي

مناخ البحر الأبيض المتوسط : يمتد من البحر إلى السلسلة الجبلية التلية، ويمتاز بصيف حار جاف وشتاء دافئ ممطر.
تنمو به اشجار عديدة أهمها الأرز والصنوبر والفلين والكروم والزيتون، وتعيش به حيوانات عديدة منها الأغنام والأبقار والذئاب

المناخ القاري: يسود المناطق الداخلية ويمتاز بصيف حار جاف و شتاء بارد كمية أمطاره ما بين 200 و 400ملم تزرع فيه الحبوب خاصة القمح والشعير كما تنمو به حشائش الاستبس وتعيش به حيوانات عديدة منها الأبقار والماعز والخيول

المناخ الصحراوي: يسود الصحراء، ويمتاز بصيف شديد الحرارة وشتاء شديد البرودة، كمية أمطاره أقل من 200 ملم يزرع فيه النخيل بكثرة، وتعيش به الحيوانات التي تتحمل العطش كالجمال والغزلان والضباع، وبعض الحيوانات السامة كالعقارب والأفاعي.

ثانيا - طوبونيميا الجزائر:

تعريف الطوبونيميا:

هي لفظة يونانية تعني (اسم مكان)، وهو فرع من فروع علم دراسة الأسماء ، وتختص الطوبونيميا بتتبع أصول وجذور واشتقاقات وأشكال الصيغ المختلفة لأسماء المواضع الجغرافية، في محاولة لفهم سياقات التسمية المختلفة اللغوية والتاريخية والدينية. وتبحث في أصول أسماء المواقع و الأماكن كالمدن و القرى ، الشوارع ، الأودية ، البحيرات ، السهول ...إلخ . وللطوبونيميا أهمية كبيرة خاصة لدارسي التاريخ ، فتعتبر أسماء الأماكن نسقا شاهدا على مدى ارتباط الإنسان بمحيطه ، فهي تعتبر مفتاحا للتاريخ الجهوي و المحلي ، ومجالا يجسد توارد الهويات و تفاعلها . فاسم المكان نجده يعبر عن النوع الشري الذي توارد على هذا المكان .

أصل تسمية الجزائر:

كان قدماء اليونان قد أطلقوا عليها اسم ليبيا، ثم تطورت التسمية في القديم، على يد الجغرافيين اليونانيين واللاتينيين كما يلي:

- مصيصيليا: وهي عبارة عن سهول سطيف وبرج بوعريريج وتل عمالتي الجزائر ووهران إلى وادي ملوية غربا

- مصيليا: وهي باقي عمالة قسنطينة وغرب عمالة تونس إلى طبرقة
ثم صارت مصيصيليا تعرف بموريطانيا الشرقية ومصيليا بنوميديا

- جيتولية :وهي عبارة عن صحراء موريطانيا ونوميديا.
ولما جاء العرب أطلقوا اسم المغرب على ما بين برقة شرقاً والمحيط الاطلانتيكي غربا، والبحر الرومي شمالا والصحراء الكبرى جنوبا. وإنما سموه المغرب لوقوعه غرب وطنهم جزيرة العرب. ثم قسم العرب

.المغرب إلى أدنى وأوسط وأقصى، وذلك بالنسبة لشرقهم

.المغرب الأدنى هو ما بين برقة شرقا وبجاية غربا .
.المغرب الأوسط هو ما بين بجاية شرقا ووادي ملوية غربا .
.المغرب الأقصى هو ما بين وادي ملوية شرقا والبحر المحيط غربا .

وفي عهد القرطاجنيين أطلقوا عليها إسم ايكوسيم ومعناه الجزائر أو جزيرة الشوك، أو جزيرة الطيور، وذلك أن الجزء الأول من الكلمة وهو (أي) معناها جزيرة و كوسيم) معناه شوك أو طير ثم أطلق عليها الروم إسم إيكوسيوم .
وفي القرن الثاني للهجرة سكنت بها القبيلة البربرية مزغنان بفتح الميم أو مزغني». وهي بطن من بطون صنهاجة. ويومئذ اشتهرت المدينة باسم قلعة بني مزغنى، أو جزائر بني مزغني

وإن السبب في تسميتها بالجزائر يعود إلى وضعيتها الطبيعية، حيث أنه كان هناك تجاه هذه المدينة أمام المرسى القديم صخور أربعة متجاورة تشبه الجزر وهي التي بنى عليها الاسبان حصنهم (البنيون)سنة 1510 م ، فوصل ما بين تلك الصخور الأتربة و ضمت إلى بعضها و ربطت بشاطئ المدينة بواسطة رصيف طويل و عريض ، و شيد في نهايته مركز عسكري ، ومن يومئذ دعيت هذه القرية باسم : مدينة الجزائر ، و احتفضت بهذا الاسم حتى فتح الأتراك العثمانيون هذه البلاد في مطلع القرن السادس عشر (1514) . ومن ثم أصبحوا يطلقون على الإقليم كله اسم (سلطنة الجزائر).

الحدود التاريخية للجزائر:

يقول الشيخ مبارك ابن محمد الميلي في كتابه تاريخ الجزائر في القديم و الحديث .

قد علمت أن وطن الجزائر عبارة عن موريطانيا الشرقية ونوميديا وجيتولية فحده الشمالي البحر، وهو الحد الطبيعي للمغرب كله وحده الجنوبي العرق وهو عبارة عن سلسلة جبال رملية تبتدئ من المحيط غربا وتنتهي شرقا بالنيل المنحدر من الجنوب إلى مصر، وهذا هو الحد الطبيعي لجنوب المغرب أيضا.

وحده الغربي وادي ملوية الذي هو حد موريطانيا الشرقية. وحده الشرقي طبرقة التي هي حد نوميديا تقرر هذا الوطن على هذه الحدود منذ العصر القرطاجني، وينقسم داخله انقساما إداريا إلى إيلات تختلف باختلاف أنظار الدول والملوك . وربما قام ببعضها أمراء مستقلون ولم تزل تلك الحدود مرعية إلى ان ملك آل عثمان من الترك هذا الوطن فنقصوا من حدوده الشرقية و الغربية .
صار الحد الشرقي للجزائر - إذ ذاك يمر شرق تبسة وسوق أهراس ومرسى القالة. والحد الغربي يمر غرب جبال ندرومه . و إذا نظرت إلى قدم حدوده و أنها كادت تعاصر فجر التاريخ رأيت ان له شبه وحدة تاريخية و سياسية مع المغرب – افريقيا الشمالية – فهو يكون وحدة جغرافية وجنسية و دينية و تاريخية .

وقلما تجد أرضا ميزتها الطبيعية بتلك الحدود مثل أرض المغرب . وقلما تجد وطنا ذا حدود عريقة في القدم مثل الوطن الجزائري.